وقفة: مع النار ـ أعاذني الله وإياكم منها ـ

مشهد عظيم رهيب، حيث الصراط ممدود، ويمر المؤمنون بها، وهي تلظى وتتأجج، والعتاة ينزعون عن الصراط ويقذفون فيها، وهي تقول: (هل من مزيد؟)، يتعوذ بالله المؤمنون منها ومن شرها، ويخشون الوقوع فيها، يخشون أن يكونوا من وقودها، فما لها وقود سوى الناس والحجارة، ويهتف مناد السماء:{فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ } [آل عمـــران: ١٨٥]، تلك هي نار جهنم لها سبعة أبواب أعاذني الله وإياكم منها.

روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:♂**لما خلق الله النار قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفها بالشهوات، فقال: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فلما رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها**ـــ، رواه الترمذي.

ولو تأمل هذا الإنسان الضعيف صفة النار، وفظاعتها، لما التفت إلى شهوات قصيرة عاجلة، تتسبب في شقاء وعذاب لا قدرة له على احتماله.

وإن المتدبر في آيات القرآن الكريم، ليلمح بوضوح لا غموض فيه، الحديث عن النار، وصفتها، وأحوال أهلها، وكذلك الحال والأمر إذا ما نظر في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

النار يا عبد الله عظيمة كبيرة، فعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:♂**لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قَطٍ قطٍ بعزتك وكرمك**ـــ، رواه البخاري ومسلم.

هي مترامية الأطراف، بعيدة القعر، لها سبعة أبواب تغلق على أهل

النار فلا يتجاوزونها، قال تعالى:{إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} [الهُمزة: ٨، ٩]، وبها دركات مخيفات، ومكان المنافقين أسفل دركات النار، قال سبحانه:{إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ} [النساء: ١٤٥].

أما العذاب الذي يعانيه أهلها، فرحماك ربنا رحماك، إنه عذاب لا طاقة للبشر على احتماله، يفر منه كل إنسان، ويفتدي في سبيل الخلاص منه بكل شيء، ففي الذكر الحكيم:{يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ} [المعارج: ١١ - ١٦].

إن النار أخي في الله، تدنو من أهلها وتستقبلهم، لكنه استقبال من نوع آخر، يقول المولى جل وعلا:{إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾} [الفرقان: ١٢]، فإذا ما دخلوها كان الحر واللهيب، {وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾} [الواقعة: ٤١ - ٤٤].

فلا هي باردة، ولا هي كريمة المظهر، وليست بالظليلة، ولا تقي من اللهب، تدمر كل شيء، لا تبقي ولا تذر، تحرق الجلود، وتصهر ما في البطون، وتطلع على الأفئدة، لا يخبو لهبها، ولا يهدأ صوتها، وسبحان الله:{كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء: ٩٧]، ويقال لأهلها رغم ما هم فيه من العذاب والويلات،{فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾} [النبأ: ٣٠].

طعام أهلها فهو الضريع، لا يفيد ولا ينفع، لا يسمن ولا يغني من جوع، بل إن أكله نوع من العذاب، قال تعالى:{لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾} [الغاشية: ٦، ٧]، وإذا ما غيرت لهم الوجبة، وقدمت لهم مائدة أخرى فلن تكون إلا الزقوم، يقول سبحانه:{إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾} [الدخان: ٤٣ - ٤٦].

وشرابهم فيها الحميمُ الحارُ، قال الله تقدست أسماؤه:{وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ} [محمد: ١٥]، وإذا اشتكوا واستغاثوا فاستمع يا مسلم:{وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا} [الكهف: ٢٩].

ولا يختلف الأمر بالنسبة للباسهم وثيابهم،{فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ} [الحج: ١٩].

ولذا كان صلى الله عليه وسلم ، كما في سنن أبي داود، يردد بعد كل صلاة فجر ومغرب، ويدعو سبع مراتٍ: (اللهم أجرنا من النار)، فاللهم أجرنا من النار يا رب العالمين.

إن الحديث عن النار، وعن أصناف عذابها أيها الفضلاء، ليربي النفس البشرية، فيحد من شهوتها، وخروجها عن الحق، ويردها إلى تعظيم قدر ربها وإجلاله تبارك وتعالى.

إن الحديث عنها يرقق القلوب القاسية، وينذر النفوس المعرضة، ويحذر العصاة، وينبه الغافلين، ويدعو كل مؤمن ومؤمنة، إلى أن يتجنبوا كل قول أو عمل أو سلوك يقرب إلى نار جهنم.

فاحذروا جميعًا من النار، وحذّروا الناس منها، وكونوا من النار على حذر، والسعيد من اتعظ بغيره، والكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

فيا إخوتي هذه وقفة تأمل، جدير بالإنسان أن يقفها ليتأمل النار، وصفاتها، وأن يتدبر حال أهلها، ومصيرهم فيها، كي يجتهد ألا يكون من أهلها.

أعاذنا الله من نار جهنم، وأجارنا من عذابها وأهوالها، نسأله سبحانه العفو والعافية منها، إنه هو السميع العليم.

* * *